كتاب التوحيد

وقول الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} وقوله: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} الآية. وقوله: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً} الآية. وقوله: {وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا} الآية. وقوله: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ مِنْ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لا نُكَلِّفُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} الآيات.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا} – إلى قوله – {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا..} الآية.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ " فقلت: الله ورسوله أعلم. قال: "حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً" فقلت: يا رسول الله أفلا أبشر الناس؟ قال: "لا تبشرهم فيتكلوا" أخرجاه في الصحيحين.

فيه مسائل:

الأولى: الحكمة في خلق الجن والإنس.

الثانية: أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه.

الثالثة: أن من لم يأت به لم يعبد الله، ففيه معنى قول: {وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ}

الرابعة: الحكمة في إرسال الرسل.

الخامسة: أن الرسالة عمَّت كل أمة.

السادسة: أن دين الأنبياء واحد.

السابعة: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت؛ ففيه معنى قوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} الآية.

الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عُبِد من دون الله.

التاسعة: عظم شأن ثلاث الآيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف. وفيها عشر مسائل، أولها النهي عن الشرك.

العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثماني عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: {لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَخْذُولاً} وختمها بقوله: {وَلا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَدْحُوراً} ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: {ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ}

الحادية عشرة: آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة، بدأها الله تعالى بقوله: {وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا}

اَلثَّانِيَةَ عَشْرَةَ: اَلتَّنْبِيهُ عَلَى وَصِيَّةِ رَسُولِ اَللَّهِ ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ.
اَلثَّالِثَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اَللَّهِ عَلَيْنَا.
اَلرَّابِعَةَ عَشْرَةَ: مَعْرِفَةُ حَقِّ اَلْعِبَادِ عَلَيْهِ إِذَا أَدَّوْا حَقَّهُ.
اَلْخَامِسَةَ عَشْرَةَ: أَنَّ هَذِهِ اَلْمَسْأَلَةَ لَا يَعْرِفُهَا أَكْثَرُ اَلصَّحَابَةِ.
اَلسَّادِسَةَ عَشْرَةَ: جَوَازُ كِتْمَانِ اَلْعِلْمِ لِلْمَصْلَحَةِ.
اَلسَّابِعَةَ عَشْرَةَ: اِسْتِحْبَابُ بِشَارَةِ اَلْمُسْلِمِ بِمَا يَسُرُّهُ.
اَلثَّامِنَةَ عَشْرَةَ: اَلْخَوْفُ مِنْ اَلِاتِّكَالِ عَلَى سَعَةِ رَحْمَةِ اَللَّهِ.
اَلتَّاسِعَةَ عَشْرَةَ: قَوْلُ اَلْمَسْئُولِ عَمَّا لَا يَعْلَمُ " اَللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ".
اَلْعِشْرُونَ: جَوَازُ تَخْصِيصِ بَعْضِ اَلنَّاسِ بِالْعِلْمِ دُونَ بَعْضٍ.
اَلْحَادِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: تَوَاضُعُهُ ﷺ لِرُكُوبِ اَلْحِمَارِ مَعَ اَلْإِرْدَافِ عَلَيْهِ.
اَلثَّانِيَةُ وَالْعِشْرُونَ: جَوَازُ اَلْإِرْدَافِ عَلَى اَلدَّابَّةِ.
اَلثَّالِثَةُ وَالْعِشْرُونَ: عِظَمُ شَأْنِ هَذِهِ اَلْمَسْأَلَةِ.
اَلرَّابِعَةُ وَالْعِشْرُونَ: فَضِيلَةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمده ونستعينُهُ ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرورِ أنفسنا ومن سيئات أعمالِنا ، من يهدِهِ اللهُ فلا مضلَ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهدُ أنْ لا إله

إلا الله وحده لا شريك لـه ، وأشـهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَم تسليمًا كثيرًا . أما بعد: ـ

فهذا الكتاب كتاب التوحيد أنصح كلَ طالبِ علمٍ أنْ يحرص عليه حفظًا ودراسة ، كلما انتهى منه يبدؤه مرةً أخرى ، هكذا أدركنا مشايخنا حفظهم الله ورحم الله الأموات والأحياء يصنعون هذا كلما انتهوا من دراسة هذا الكتاب بدءوا فيه مرة أخرى ؛ لأنَّ مباحث هذا الكتاب والتي أكثرها في توحيد العبادة يحتاج إليها الطالب كثيرًا سواء ما يتعلق بحفظ الأدلة ،أو الوقوف على المسائل والأحكام التي تتعلق بتوحيد العبادة ، فالمشايخ كلما انتهوا من شرحِ الكتاب أخذوا شرحًا آخر كأن يبدأ مثلاً بـــ « القول السديد» وينتهي منه ثم يبدأ مرة أخرى فى« قُرة عيون الموحدين » فإذا انتهى منه ثنَّى بـــ « فتح المجيد» أو « التيسير » ونحو ذلك . وقد كان الشيخ ابن باز -رحمه الله تعالى -يُقرَأُ عليه « فتح المجيد » في مجلس فجر الخميس وكان يحضر مجلسه كبار أهل العلم وكِبار الدعاةِ الموجودين حاليًا ، وهكذا كان شيْخنا الشيخ ابن عثيمين والشيخ الفوزان وغير هؤلاء ، فلذلك أنصحُ إخواني الطلابَ بالحرصِ على هذا الدرسِ لأهميتهِ لطالبِ العلمِ .

وأقول إنَّ هذا الكتاب كتاب مبارك واعتنى العلماء بشرحه ودراسته في كافة أقطار الأرض وهو بالنسبة لبلدنا مصر في غاية الأهمية نظرًا للإشكالات الكثيرة التي تمرُ بنا فيما يتعلق بمسائل التوحيد في العبادة ومسائل الشرك الأكبر والأصغر التي توجد في مجتمعنا .

ومؤلف الأصل هو الإمام المجدد محمد بن عبد الوهَّاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بُرَيْد بن محمد بن مُشرَّف التميمي النجدي، وُلد بالعيينة، ـ والعيينة هي بلدة شمال غرب مدينة الرياض تبعد عنها حوالي خمسة وأربعين كيلو متر- وُلدَ سنة خمس عشرة ومائة بعد الألف من الهجرة ١١١٥هـ ، وتُوفي في سنة ست بعد المائتين والألف من الهجرة ، والإمام محمد بن عبد الوهاب له مؤلفات كثيرة أشهرها « كتاب التوحيد » و « فضل الإسلام » ، و « كشف الشبهات » ،و« الأصول الثلاثة » ، و « القواعد الأربع » ، و« مسائل الجاهلية » . وله باع في التفسير والسيرة ومختصرات متعددة ؛ وقامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بطباعة أكثر مؤلفاته في مجموع واحد .

قال الإمام المجدد -رحمه الله تعالى -: **كتاب التوحيد** . كلمة كتاب مادتها مأخوذة من الكاف والتاء والباء وهي تدل على الجمع : الكَتْب والكتابة والكتِيبة ، كلُّها تدل على جمع الشيء ، فالكتاب تجمع فيه الحروف بعضها إلى بعض ، والكتيبة : كتيبة الخيْل تجمع فيها الخيل ونحو ذلك ، فمادة كتب تدور على الجمع ، فَسُمِي الكتاب كتابًا لهذا الأمر ؛ لأنَّ المؤلف يجمع فيه أبواب ومسائل يجمع بعضها إلى بعض .

كتاب التوحيد: وقد اختلف الشراح هل يعد هذا بابا أم مقدمة ؟

فمن قال إنه باب جعل التقدير :باب وجوب التوحيد .

ومن قال إنه مقدمه قال إن الامام لم يقل هنا باب وإنما قال :كتاب التوحيد فدل ذلك على أنها مقدمة الكتاب ولم يجعل الإمام المصنف رحمه الله لكتابه مقدمة إنشائية لغرض لطيف وسر بديع وهو :

أنه لا يريد أن يجعل فاصلاً بين الحق والدال على الحق وكلام الدال عليه ، الحق الذي لله هو التوحيد ، والذي دل على هذا الحق هو الله سبحانه وتعالى ، والدليل عليه هو كلامه . كما أن الإمام البخاري رحمه الله تعالى الذي كتب صحيحه لبيان سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولبيان هديه أيضًا لم يأتِ بمقدمة لئلا يجعل هناك فاصلاً بين كلام صاحب الرسالة وهو النبي عليه الصلاة والسلام والمصنف .([1])

ثم أعلم رحمك الله أن لفظ التوحيد -إذا بحثت عنه في النصوص لن تجد هذا اللفظ إلا بقلة ، ومن ذلك حديثَ ابن عباس الذي في صحيح البخاري أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: **إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب ، فليكن أولَ ما تدعوهم إليه – شهادة أن لا إله إلا الله ([2]) ؛**

وفي لفظ : « **فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله** »؛ ([3])

وفي رواية والتي هي محل الشاهد : « **إلى أن يوحدوا الله جلَّ وعلا** » ([4])

---

[1]) هذا استنتاج من الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله تعالى –لابأس به لكن يُشكِل عليه أن بعض المصنفين الكبار كالإمام مسلم بن الحجاج في صحيحه « صحيح مسلم » أتى بمقدمة طويلة قبل أن يدخل في أحاديث الصحيح ولم 'يجعل فى هذا نقد عليه مع أن صحيح مسلم يعتبر ليس فيه إلا الحديث المجرد بخلاف البخاري ؛ لأن التراجم التي في صحيح مسلم كتبها الشُرَّاح كالنووي والقاضي والمازني والأبي وغيرهم ، أمَّا تراجم البخاري فقد كتبها البخاري بنفسه ،والمؤلف في قوله: كتاب التوحيد كأنه عبَّر بهاتين الكلمتين وبهذا العنوان عمَّا يريد وهو توحيد الله سبحانه وتعالى .

[2]) رواه البخاري في كتاب المغازي (٤٣٤٧) ، ومسلم (١٩\٢٩) .

[3]) البخاري في كتاب الزكاة (١٤٥٨) ،ومسلم (١٩ \٣١) .

[4]) رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٢) .

هذا اللفظ ورد في آخر صحيح البخاري في كتاب التوحيد قال : باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، فالبخاري رحمه الله ختم صحيحه بهذا الكتاب « كتاب التوحيد » ليدل على أنَّ التوحيد هو أول الأمر وآخره ، فهو رحمه الله وضع كتاب الإيمان في أول الصحيح بعد كتاب « بَدء الوحي » وختم صحيحه بكتاب التوحيد ، وفي بعض النسخ « كتاب التوحيد والرد على الجهمية » فوضع هذا الباب في أول كتاب التوحيد : باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أُمَّتَهُ إلى توحيد الله تبارك وتعالى ، وأتى بهذا الحديث بهذا اللفظ : « **إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله** » ([1]) .

فهذا دليل على ورود كلمة التوحيد في السنَّة . وتبين بهذه الروايات أن معنى : **{إلى أن يوحدوا الله}** هو معنى : **{ فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله }** وهي معنى الشهادة لأنه جاءت لفظة أخرى : « **شهادة أن لا إله إلا الله** » ، فدل هذا على أن التوحيد هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وأن تحقيق هاتين الشهادتين هو تحقيق التوحيد ، فمن حقق هاتين الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله وشهادة أن محمدًا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حقق التوحيد ، وكما يقول ابن القيم: أنه لابد من تجريدين أو توحيدين: توحيد المعبود (توحيد المُرْسِل) وتوحيد المتابعة أو تجريد المتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم (توحيد المرسَل) ويتحقق ذلك بتجريد الإخلاص وتجريد العبادة لله جلَّ وعلا ، فبهاتين الكلمتين يجتمع لك معنى الشهادة.

فتعريف التوحيد علي وجه الاجمال هو : إفراد الله جلَّ وعلا بما يختصُ بهِ من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات . أما التوحيد على وجه التفصيل فهو ثلاثة أنواع : توحيد الربوبية ، توحيد الألوهية ، توحيد الأسماء والصفات .

النوع الأول : توحيد الربوبية :وهو إفراد الله جلَّ وعلا بأفعاله كالخلق ، والملك ، والتدبير والرَزق ، والإحياء ، والإماتة وغير ذلك...

النوع الثاني : توحيد الألوهية أو توحيد العبادة : وهو إفراد الله جلَّ وعلا بأفعال العباد، كالصلاة ، والذبح ، والنذر ، والتوكل ، والخوف ، والإنابة ، والرغبة ، والرهبة ،و الاستغاثة وغير ذلك...

---

[1] رواه البخاري في التوحيد (٧٣٧٢)

النوع الثالث : توحيد الأسماء والصفات : وهو إثبات ما أثبتَهُ الله جلَّ وعلا لنفسه وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلا من غير تحريف ولا تعطيل ، ومن غير تكييف ولا تمثيل .

و هذا التقسيم ثبت بالاستقراء ، فالعلماء نظروا في نصوص الكتاب والسنة فوجدوا بعضها يتكلم فيما يتعلق بأفعال الله جلَّ وعلا كالخلق والتدبير ونحو ذلك فسمَّوا هذا القسم توحيد الربوبية، وبعضها يتعلق بعبادة العبد وما يصرفه إلى الرب جلَّ وعلا كالصلاة والتوكل والرغبة والرهبة إلى آخره ، فسمَّوا هذا القسم توحيد العبادة باعتبار ما يفعله العبد من العبادة ، أو ُيطلق عليه توحيد الألوهية باعتبار ما يتعلق بالرب جلَّ وعلا، يقال توحيد الألوهية أو الإلهية كلها صحيحة ، والقسم الثالث وجدوا في القرآن والسنة أسماء وصفات فسمَّوا هذا القسم توحيد الأسماء والصفات ،وهذ التقسيم لا إشكال فيه إلا لمن كان في قلبه ضغن أو كيد لأهل الإسلام و لأهل السنة ونحو ذلك ،وهناك رسالة في هذا للدكتور عبد الرزاق بن شيخنا عبد المحسن بن حمد العبَّاد اسمها « القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد » يردُ فيها على السقَّاف الأردني الضال الذي يطعن في هذا التقسيم.

ـ الكلام على اشتقاق كلمة الإله : جاء في القاموس أنها مأخوذة من أَلَه - بفتح اللام . أَلَه يألَه إلَهة وأُلوهة ، ويوجد في بعض الكتب (أَلِهَ) وفي بعض نسخ كتاب « فتح المجيد » (أَلِهَ) بكسر اللام . وأَلِهَ غير أَلَهَ، أَلَهَ يألَه إلَهة إذا عبد ، أما أَلِهَ إذا تَحَيَّر، فالذي معنا أَلَه يَألَه إلَهةً وأُلوهةً إذا عَبَدَ ، أما أَلِه فلان أَلَهًا إذا تَحيَّر ، وأَلِه بالمكان إذا أقام بالمكان ، والتَأله : التنسك والتعبد ، ويستدلون في كتب اللغة وكتب العقيدة بقول أبي العجاج رُؤبة بن العجاج وأبوه العجاج اسمه عبد الله، وأبوه تابعي ورُؤبة مخضرم يستدلون بقول رُؤبة المشهور :

لِلَّهِ دَرُّ الغانِيـــاتِ المُـــدَّهِ سَـبَّحْنَ وَاسْـتَرْجَعْنَ مِـنْ تَأَلُّهِي

(المُـدَّهِ) أى المادحـات ، و(المُـدَّهِ) أى المـدَّحِ وزنًـا ومعنـى ، أى يسـتعجب مـن الغانيـات المادحـات اللاتـي يثنـين عليـه ، (وَاسْـتَرْجَعْنَ) : يعنـي قلـنَّ إنـا لله وإنَّـا إليـه راجعون ، (مِنْ تَأَلُّهِي) : يعني من تعبده يعني أنه ترك اللهو ، وترك العبث ، وترك الدنيا ، وتأله وتفرغ للتنسك والتأله والعبادة ، فالشاهد في هذا البيت المشهورهو قوله :

(من تألهى) أى من تعبدي ، فتوحيد الألوهية أو توحيد الإلهية هو توحيد العبادة أى أن تجعل العبادة لواحدٍ وهو الله سبحانه وتعالى .

وضد التوحيد الشرك ، والشرك معناه اتخاذ الشريك وهو أن يُجعلَ واحدٌ شريكا لآخر ، يُقال : أشرك بينهما إذا جعلهما اثنين ، أو أشرك في أمره غيره إذا جعل ذلك الأمر لاثنين ، فالشرك معناه : أن تجعل لله جلَّ وعلا شريكًا : إما في الربوبية ، وإما في العبادة ، وإما في الأفعال ، وإما في أسمائه ، وإما في صفاته.

والشرك يُقَسَّم عند أهل العلم إلى قسمين : شرك أكبر وشرك أصغر .

القسم الأول : الشرك الأكبر الذي هو مخرج من الملة ، ولا يغفره الله جلَّ وعلا أبدًا إلا إذا تاب الانسان منه ، وكذلك إذا وقع العبد في الشرك الأكبر حبطت جميع أعماله .

القسم الثاني : الشرك الأصغر وهو ما ورد في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى الشرك الأكبر ، ولم يُذكر أنه مخرج من الملة ، وبعض أهل العلم يقول : ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر أى ما كان وسيلة إلى الشرك الأكبر، ويكون في الأقوال و الأعمال ومنه الرياء اليسير .

مثاله في الأقوال : كأن يحلف بغير الله فيقول مثلا : والنبي ، ورأس أبي ، والأمانة ، وفلان كما سيأتي ذلك بالتفصيل ، هذا إذا قلنا أن الشرك فقط في اللفظ ولا يريد الحقيقة .

ومثاله في الأفعال : كَلبْسِ الحلْقة في اليد أو التمائم على التفصيل الذي سنذكره إن شاء الله سبحانه وتعالى في بابه .

والرياء اليسير : كأن يقوم يُصلي فيُزَيْن صلاته أو يُطيل صلاته من أجل نظر الناس إليه ، هذا من الشرك الأصغر .

هناك تقسيم آخر وهو أن الشرك يقسم إلى شرك أكبر ، وشرك أصغر وشرك خفي ،

والشرك الخفي يكون منه أكبر و أصغر ، الشرك الخفي الذي فيه خفاء في الباطن يكون منه شرك أكبرخفى : مثل شرك المنافقين ؛لأنهم يبطنون الكفر ويظهرون الإسلام هذا شرك أكبر (نفاق اعتقادي أكبر) ، وشرك أصغر خفي كأن يصلى الرجل فَيُزَيْن صلاته لأجل الناس ، أو يعمل العملَ للرياء .

حكمه : الشرك الأكبر لا خلاف فيه أنه مُحْبِطٌ للعمل وصاحبه مُخَلَّد في النارِ ولا يغفره الله إلا بالتوبة منه .

أما الشرك الأصغر : فأهل العلم يقولون بأن الشرك الأصغر أكبر من أكبر الكبائر، وقد يقول قائل : كيف يكون الشرك الأصغر كالحلف بغير الله أكبر من الربا والزنا والسرقة ؟

والجواب : أن المعصية والكبيرة التى أطلق عليها أنها شرك أعظم من المعصية والكبيرة التى لم يطلق عليها أنها شرك . والعبد إذا عرف ذلك يخاف منه ويتعلمه حتى لا يقع فيه لأن بعض الناس يستثقل هذا الكلام فيريد أن نتكلم عن الربا لأنه أعظم عنده من الكلام على الشرك !وهذا من الجهل بحقائق الأمور ، فالربا محرم والشرك محرم لكنه أعظم من الوقوع في غيره مما لم يُطلق عليه في الشريعة أنه شرك ،وأهل العلم اختلفوا في حكم من مات وقد وقع في الشرك الأصغر هل يُغفرله أم لا ؟ جمهور أهل العلم على أنه تحت المشيئة إن شاء الله جلَّ وعلا غفر له وإن شاء لم يغفر له وعذبه بهذا الذنب ، ويرى بعض أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية ومن تابعه في ذلك أنه لا يقع تحت المشيئة، وأن الشرك الأصغرداخل في عموم الآية : { إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ } [النساء:٤٨] فهذا شرك وهو داخل في عموم الآية ، وعلى كلا القولين فإن العبد يخاف من ذنب أُطلق عليه أنه شرك ، سواءً كان فى الأفعال أو الأقوال .ويدل على هذا قول ابن مسعود «**لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بِغَيْرِهِ، صادقا**» ([1])

والشرك قد يُعبَّر عنه بالتنديد أى باتخاذ الند ،والنظير مع الله سبحانه وتعالى ، قال تعالى : { فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً } [البقرة:٢٢] وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حينما سئل: أي الذنب أعظم؟ قال : « **أن تجعل لله ندًا وهو خلقك** » ([2])إذًا أعظم الذنب أن تجعل لله ندًا وهو خلقك سبحانه وتعالى ، فعلى هذا يكون التنديد يساوي الشرك والتنديد يكون منه تنديد أكبر وتنديد أصغر ، أى شرك أكبر وشرك أصغر .

الدليل الأول :

---

[1]) رواه ابن أبي شيبة في المصنف برقم (١٢٢٨١) .

[2]) رواه البخاري برقم (٤٤٧٧) ومسلم برقم (٨٦) .

ثـم اسـتدل المؤلـف بقـول الله تعـالى: { وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْإِنـسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ } [الذاريات:٥٦] .

بعض السلف فسروا قولـه تعـالى (إلا ليعبـدون) بمعنـى إلا ليوحـدون ومـنهم علـي رضي الله عنه ، وقال اخرون :(إلا ليعبدون): إلا لآمرهم وأنهاهم.

{ وَمَـا خَلَقْـتُ الْجِـنَّ وَالْإِنـسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُونِ } (مـا) و(إلا) هـذا يسـمى أسـلوب حصـر وقصر، ما خلقتُهم لأمر من الأمور أو لشيء من الأشياء إلا للعبادة ،فهو استثناء مفرَّغ من أعم الأحوال .

إلا ليعبدون [اللام] هذه عند أهل السنة تسمى بـــ لام الحكمة أو لام الغاية ، لام التعليل ، وأهل السنة يثبتون الحكمة والتعليل في أفعال الله جلَّ وعلا وأن الله جلَّ وعلا لا يفعل إلا لحكمة ولا يفعل شيئًا سدًا سبحانه وتعالى ، والأشاعرة لا يعترفون بهذا ، يقولون: هذه اللام تسمى بلام العاقبة، وهذا الكلام غير صحيح لأن هذه لو كانت لام العاقبة لكان كل الناس عابدين لله جلَّ وعلا لكن الواقع أنَّ من الناس من عبد الله جلَّ وعلا ومنهم من لم يعبده ، ووقع في الشرك بالله سبحان وتعالى .

وحقيقة العبادة هى الخضوع والذل فإذا أضيفت إليها المحبة والانقياد صارت عبـادة شـرعية ، يعنـي فـي اللغـة: العبـادة تـدور علـى التـذلل، واسـتدل ببيـت لطَرَفـة بـن العبـد يصف فيه ناقته يقول:

تُبـــاري عِتاقـــاً ناجِيـــاتٍ وَأَتبَعَـــــــــــــت … وَظيفـاً وَظيفـاً فَـوقَ مَـورٍ مُعَبَّـــــــــــــــدِ

(تُباري) : يعني هذه الناقة تُباري أى تعارض ، (عِتاقاً) : أى نوقاً أخرى لكنهـا نـوق كريمـة عظميـة ، (ناجِيـاتٍ) : أى سـريعات ، (وَأَتبَعَـت وَظيفـاً وَظيفـاً) : يطلـق علـى مسـتدق الـذراع : الوظيـف ، الـذراع يكـون فـي مقـدم الناقـة ، (المَـوْر) : الطريـق، (والمعبد): المذلل ، والشاهد :قوله (فوق مور معبد) المعبد المذلل في اللغة ،

وللعبـادة تعـاريف متعددة منهـا : امتثـال الأمـر والنهـي علـى جهـة المحبـة والرجـاء والخـوف .

ومنهـا تعريـف آخـر مشـهور عنـد الأصـوليين : أن العبـادة هـي مـا أُمـر بـه مـن غيـر اقتضـاء عقلـي ولا أطـراد عرفـي فالعقـل لا يقتضـي هـذا الشـيء ـ يعنـي الصـلاة التـي

نصليها ـ فالعقل ما يقتضيها أي فالعقل لا يقول لك: صل بهذه الكيفية واركع واسجد وأجلس واقرأ التحيات وقم ؛ فالعرف أيضًا ما يعرف هذا الشيء .

ومنها التعريف المشهور عن شيخ الإسلام بن تيمية في رسالة « العبودية » : أن العبادة اسم جامع لكل ما يُحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

الأقوال الظاهرة : مثل قراءة القرآن والتسبيح ، والأقوال الباطنة : وهي الاعتقادات .

والأعمال الظاهرة : كالصلاة والصيام والحج ، والأعمال الباطنة : كالمحبة والخوف والرغبة وغير ذلك ...

الدليل الثاني من الآيات قوله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } الآية [النحل:٣٦] . هذه الآية تفسر الآية قبلها : { وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } [الذاريات:٥٦] حيث جاء فيها بيان معنى العبادة وبيان الغرض من إيجاد الخلق ،فالرسل ما أُرسلت إلا للعبادة ،وهو ما جاء في هذه الآية : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } [النحل:٣٦] كلمة [وَلَقَدْ] فيها ثلاث مؤكدات : **القَسَم ، واللام الموطئة للقسم ، وقد** . وكلها تؤكد أن كل أمة بُعث فيه رسول إنما بعث للدعوة إلى عبادة الله جلَّ وعلا واجتناب الطاغوت ، {... اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } (اعْبُدُواْ اللّهَ) : فيها إثبات العبادة لله سبحانه جلَّ وعلا ، واجتناب الطاغوت فيه نفي استحقاق العبادة عن غير الله جل وعلا ففيها معنى لا إله إلا الله .

والطاغوت له تفاسير من أهل العلم من يقول : الطاغوت كل ما عُبد من دون الله فهو طاغوت ، والإمام محمد بن عبد الوهاب يقول في رسالة « الأصول الثلاثة » : {والطواغيت كثيرون ورءوسهم خمسة: الأول : إبليس لعنه الله ، الثاني: من دعا الناس إلى عبادته ، الثالث : من عُبد وهو راضٍ ، الرابع: من ادَعَى شيئًا من علم الغيب ، الخامس : الحاكم المغير لأحكام الله ،ـ وفي نسخة : الجائر المُغَيِّر لأحكام الله ، وفي نسخة: الحاكم بغير ما أنزل الله} . هذه خمسة من رؤوس الطواغيت على الاختصار وإلا فالطواغيت أكثر من ذلك .

وقد فسره ابن القيم تفسير جامع يقول : الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من متبوع أو معبود أو مطاع .

متبوع : كالكهَّان فهناك من يعتقد أن الكهَّان يعلمون الغيب ويقدرون على التصرف في الكون .

أو معبود : كالأصنام ، والأوثان ، والأشجار والأحجار التي عُبدت من دون الله .

أو مُطاع : يعني في غير طاعة الله جلَّ وعلا بشرط أن يكون رضي بالعبادة ، أما من عُبد ولم يرضَّ بالعبادة فإنه لا يَدخل في حد الطواغيت ، كعيسى عليه السلام ،فإنه لم يرضَّ بالعبادة ولم يأمر الناس بعبادته ومع ذلك إلى الآن يعبده النصارى ويؤلهونه من دون الله ، فلا يدخل في حد الطاغوت .

الدليل الثالث قال المصنف رحمه الله : وقوله تعالى { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً } الآية [الإسراء:٢٣] قبل هذه الآية: { لاَّ تَجْعَل مَعَ اللّهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً } [الإسراء:٢٢] وقوله : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ...} [الإسراء:٢٣] . فالآية التي قبلها فيها توبيخ وذم لمن جعل مع الله إلهًا آخر وأنه يظل مذمومًا ومخذولاً هذا نهي عن الشرك ، ثم أمر بالتوحيد فقال : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ...} [الإسراء:٢٣] ، لذلك المؤلف سينبه على الآية التي قبلها في المسائل .

وقوله : { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ } قضى : أى أمر وَوَصَّى ، كما فسرها عددٌ من الصحابة رضي الله عنهم ، (أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ) : هذا معنى لا إله إلا الله بالمطابقة .

{لا إله إلا الله} لا تعبدوا إلا إيَّاه، كلاهما فيه نفي وإثبات ، (لا تعبدوا إلا إيَّاه) ، (لا تعبدوا): هذا نهي،إلا إياه : إثبات العبادة الحقة لله جلَّ وعلا، كذلك لا إله إلا الله : (لا إله) : نفي ، (وإلا الله) : إثبات ،(لا إله) : نفي للمعبودات الباطلة التي عُبدت بغير حق ، (وإلا الله): إثبات العبادة الحقة للواحد الأحد الفرد الصمد وهو الله جل وعلا ، { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ } [الإسراء:٢٣] بمعنى : { اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } [النحل:٣٦] أيضًا تُفَسِّر لا إله إلا الله لأنها تشتمل على النفي والإثبات ؛ نفي العبادة للمعبودات الباطلة وإثبات العبادة للواحد الأحد الإله الحق سبحانه وتعالى .

الدليل الرابع : قال المصنف : وقوله تعالى : { وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً } [النساء:٣٦] . فيه أمر ونهي ، (وَاعْبُدُواْ اللّهَ) : هذا أمر ، وأما النهي في قوله : (وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً) ، وكلمة [شيئًا] نكرة في سياق النهي ، فتفيد العموم : (لا تشركوا

به شيئًا)، أي لا تشركوا به نبيًا ولا وليًا ولا ملكًا ولا حجرًا ولا شجرًا لا في قليل ولا في كثير.

الدليل الخامس : قال المصنف : وقوله تعالى : { قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً } الآيات [الأنعام :١٥١-١٥٣] إذاً مما حرم علينا جل وعلا الإشراك بالله فالشرك محرم . ،وكلمة محرم يدخل فيها ما هو شرك وما هو دون ذلك ، فيدخل فيها الشرك والكبائر والصغائر ،فإننا نقول الشرك محرم ، ونقول في الآية حَرَّم عليكم الإشراك بالله ؛ والشرك بالله أكبر الكبائر فحرَّمه علينا جل وعلا بهذه الآية الكريمة : { قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً } [الأنعام:١٥١] وأهل العلم لهم في تقدير معنى هذه الكلمة عدة تقديرات { قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً } بعضهم يقول: هنا محذوف تقديره {وصَّاكم ألا تشركوا به شيئًا} ، أو حرم عليكم الإشراك به وغير ذلك من التقادير في كتب التفسير.

ثم ساق المصنف رحمه الله أثر عبد الله بن مسعود ([1])رضي الله عنه قال :{ من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه ، فليقرأ قوله تعالى : { قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً } إلى قولِهِ : {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً} آية الأنعام .

وهنا سؤال: هل النبي صلى الله عليه وسلم ترك لنا وصية مكتوبة ؟ الجواب : "لا" لم يترك لنا وصية وإنما وصانا بكتاب الله جل وعلا وبسنته صلى الله عليه وسلم فقال : **« تركتُ فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا ، كتاب الله وسنتي »** ([2])

فالمقصود من كلام ابن مسعود رضى الله عنه لو أراد أن يُوصي لأوصى بهذه الآيات الثلاث في سورة الأنعام التي فيها الوصايا العشر التي سنذكرها في الكلام على المسائل بالتفصيل ، {من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه }، أى لو أوصى لأوصى بهذه الآيات لكن نبينا عليه الصلاة والسلام لم يوصِ بشيء مخصوص ولم يكتب شيئًا قبل موته ، لكن هذا الأثر عن ابن مسعود يدل على عظم شأن هذه الآيات التي افتتحت بالنهي عن الشرك وختمت بالتحذير من سبيل أهل البدع وأهل الشبهات .

---

[1]) رواه الترمذي بمعناه {٣٠٧٠} وقال حسن غريب .

[2]) رواه الحاكم في مستدركه برقم (٣١٨ ، ٣١٩) .

الدليل السادس : وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : « كنت رديف النبي ﷺ على حمار، فقال لي : **يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟** قلت : الله ورسوله أعلم ، قال : **حق الله على العباد : أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا ، وحق العباد على الله: ألا يعذب من لا يشْركُ به شيئًا** ، قلت : يا رسول الله : أفلا أبشر الناس ؟ قال : **لا تبشرهم فيتكلوا** » أخرجاه في الصحيحين .([1])

ثم ختم الباب أو ختم هذه المقدمة بحديث معاذ بن جبل الذي أخرجه البخاري ومسلم عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار وفي بعض الروايات : كنت ردفًا ، ردف ورديف يعني خلفه ، وفي بعض الروايات تسمية الحمار عُفير .([2])

ويؤخذ من هذا أنه لا بأس بتسمية الدواب والبهائم وغير ذلك .

ويؤخذ أيضًا تواضعه صلى الله عليه وسلم وأنه أردف معاذًا خلفه بخلاف المتكبرين والمتعالين .

وقوله: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي يا معاذ -وهذا النداء نوع من التشويق والتعليم بأسلوب النداء والحوار والمناقشة ، وفي روايات الصحيحين(أنه ناداه ثلاث مرار) يعني ثلاث مرات - **يا معاذ .** فيقول معاذ : لبيك يا رسول الله وسعديك ثم يتركه فيقول: **يا معاذ** فيقول : لبيك يا رسول الله وسعديك ثلاث مرات ، فهذا فيه أن الإنسان إذا أراد أن يُبَلِّغ أمرًا أو مسألة كبيرة للسامع أن يشوقه و يخرج ما عنده من الإحساس ويحثه بشتى أنواع الأساليب كالاستفهام والتكرار ونحو ذلك لِيُلْفت نظره أن ما سيلقيه عليه من الأمر العظيم أو هو الأمر العظيم : يا معاذ ، يا معاذ ، يا معاذ ، ثلاث مرات ثم قال له سائلاً: « **أتدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟** » فقال معاذ الله ورسوله أعلم فقال: « **حق الله على العباد أن يعبدوه** ... » ، لأنه ما خلق العباد إلا لعبادته لم يخلقهم للأكل والشرب واللهو والمتعة وإنما خلقهم لعبادته ، وخلق هذه الأشياء لتعين العبد على الطاعة وعلى العبادة ، فالدنيا بما فيها من الخيرات وما فيها من المتع إنما خلقها الله جل وعلا لك لتعينك على العبادة ،والناس الآن قلبت الأمر فجعلت العبادة أمرا فرعيا إضافيا أما الأصل عندهم الدنيا!

([1]) رواه البخاري في صحيحه: **بَابُ اسْمِ الفَرَسِ وَالحِمَارِ(٢٨٥٦)** . ومسلم: كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا (١ / ٥٨) حديث رقم (٣٠) .

([2]) جاءت تسميته بعفير في صحيح البخاري برقم (٢٨٥٦) باب اسم الفرس والحمار .

والصواب أن الدنيا خلقت لتعينك على العبادة، الدنيا خلقت لتعينك على العبادة ولم تخلق لتشغلك عن العبادة فإذا شغلتك عن العبادة فأنت على خطر.

قال: « **حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا** » ،

هذا حق لله جلَّ وعلا ليس لك فيه خيار، يجب عليك هذا الحق أن تؤديه ؛ لست مخيرًا فيه تقوم به أو لا ، ثم قال : « **وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا** » ، فهذا حق أوجبه الله جلَّ وعلا على نفسه تفضلا منه وتكرما ولم يوجبه أحد عليه كما تدَّعي ذلك المعتزلة ويقولون : أنه يجب على الله جل وعلا أن يثيب المطيع وأن يُعذب العاصي ؛هذا كلام المعتزلة الضلال يُوجِبون على الله جل وعلا بعقولهم ،ومن ذلك قوله : « **يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا...** »([1]) وكما أنه جل وعلا حرم الظلم على نفسه كذلك أوجب على نفسه جل وعلا أشياء منها أنه لا يعذب من لا يشرك به شيئًا سبحانه وتعالى ، أراد معاذ رضي الله عنه أن يُبَشِّر الناس بهذا الخير الكبير وهو أنَّ الذي لا يشرك بالله جل وعلا شيئًا فإنه ناجٍ من عذاب الله فخاف صلى الله عليه وسلم أن يتكل الناس ويتركوا العمل بمقتضى الشهادتين ، ومعلوم أنه لابد لكلمة التوحيد من شروط ومقتضيات كما قال وهب بن مُنَبِّه ([2])عندما قيل له : { أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ فقال : ما من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح وإلا لن يفتح لك}.

وشروط لا اله الا الله هى العلم واليقين والإخلاص والانقياد والمحبة والصدق والقبول وسيأتي الكلام عليها تفصيلا .

{قال له : أفلا أبشر الناس ؟ قال: « لا تبشرهم فيتَّكلوا » } يعني فيتَّكلوا وَيَدَعُوْا العمل .

فيه مسائل :

الأولى : الحكمة في خلق الجن والإنس .

هي العبادة مأخوذة من قوله تعالى : {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ } .

الثانية: أن العبادة هي التوحيد، لأن الخصومة فيه .

---

[1]) رواه مسلم برقم (٢٥٧٧)

[2]) أورده البخاري في أول كتاب الجنائز معلقا ووصله البيهقي في الاسماء والصفات برقم(٢٠٨) .

ومعنى أن العبادة هي التوحيد أي أن العبادة مبنية على التوحيد، فالعبادة بدون توحيد باطلة ولا تسمى عبادةً شرعًا ، لذلك قال المصنف رحمه الله : {أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه} ،وذلك أن كفار قريش خالفوا النبي صلى الله عليه وسلم في التوحيد فقد كانوا يعبدون لكن مع الإشراك وقالوا : { مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى } [الزمر:٣] فهم كانوا يعبدون الله جلَّ وعلا ويعبدون معه غيره ، فأي عبادة بغير توحيد هي عبادة باطلة وإن سمَّاها أهلها عبادة .

الثالثة : أن من لم يأت به - يعني بالتوحيد - لم يعبد الله ، ففيه معنى قوله : { وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ } [الكافرون:٣]

أي لستم عابدين عبادتي لأن عبادتكم مبنية على الشرك فليست كعبادتي المبنية على الإخلاص ، وعليه فمن لم يأتِ بالتوحيد فإنه لم يأت في الحقيقة بالعبادة الحقة ولم يعبد الله جل وعلا .

الرابعة : الحكمة في إرسال الرسل .

هي الأمر بالتوحيد والنهى عن الشرك قال تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ } [النحل:٣٦] .

الخامسة : أن الرسالة عمَّت كل أمة .

لقوله تعالى : { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً } يأمرهم بالتوحيد وينهاهم عن الشرك .

السادسة : أن دين الأنبياء واحد .

في قوله تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً...} كل الرسل يقولون هذه الكلمة : { اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} ، كل الرسل يأمرون أممهم بهذه الكلمة التي فيها : تجريد التوحيد والنهي عن التنديد .

السابعة : المسألة الكبيرة : أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله :{ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ } [البقرة :٢٥٦] .

والمصنف رحمه الله صرح هنا بأنها مسألة كبيرة لأن أكثر الناس يجهلُها لأن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ، فلابد من نفي وإثبات ، نفي العبادة عن تلك المعبودات المعبودة بالباطل وإثباتها لله جل وعلا .

ويقول المؤلف في « كشف الشبهات » : " (والكفار الجهال يعلمون أن مراد النبي صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمة هو: إفراد الله تعالى بالتعلق، والكفر بما يُعبد من دون الله، والبراءة منه؛ فإنه لما قال لهم: قولوا: (لا إله إلا الله)، قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً إِنَّ هَذَا لَشَيْء عُجَابٌ} .

فإذا عرفت أن جهال الكفار يعرفون ذلك، فالعجب ممن يدعي الإسلام وهو لا يعرف من تفسير هذه الكلمة ما عرفه جهال الكفار، بل يظن أن ذلك هو التلفظ بحروفها من غير اعتقاد القلب لشيء من المعاني.

والحاذق منهم يظن أن معناها: لا يخلق ولا يرزق إلا الله ولا يدبر الأمر إلا الله، فلا خير في رَجُلٍ جهالُ الكفار أعلم منه بمعنى (لا إله إلا الله)".

الثامنة : أن الطاغوت عام في كل ما عُبد من دون الله. وهذه سبق الكلام عليها.

التاسعة : عظمُ شأن الثلاث أيات المحكمات في سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل أولها : النهي عن الشرك .وبيانها كالتالي:

الأولى : (أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً) . وهى أخطر مسألة لذلك بدأ بها

الثانية : (وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً).

الثالثة : (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ) .

الرابعة : (وَلاَ تَقْتُلُواْ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) .

الخامسة : (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ) .

السادسة : (وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا) .

السابعة : (وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى).

الثامنة : (وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) .

التاسعة والعاشرة: (وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ).

هذه المسائل العشر في سورة الأنعام وهي الوصايا العشر وهي وصايا عظيمة جدًا يوصي بها أهل العلم ، ابتُدأت بالنهي عن الشرك وكذلك خُتمت بالتحذير من سبيل أهل البدع وأهل الشبهات والشهوات : {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ} ،

العاشرة : الآيات المحكمات في سورة الإسراء وفيها ثماني عشرة مسألة بدأها بقوله سبحانه وتعالى : { لاَّ تَجْعَل مَعَ اللهِ إِلَـهاً آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُوماً مَّخْذُولاً } [الإسراء:٢٢] وختمها بقوله : { وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً } [الإسراء:٣٩]: ونبهنا الله سبحانه وتعالى على عظم شأن هذه المسائل بقوله :{ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ منَ الْحِكْمَةِ } [الإسراء:٣٩] .

(ملومًا) : أى تلومُكَ نفسُكَ والناس ، (مدحورًا) : أي مطرودًا مبعدًا من رحمة الله سبحانه وتعالى.

الحادية عشرة : آية سورة النساء التي تسمى آية الحقوق العشرة بدأها بقوله تعالى : { وَاعْبُدُواْ اللهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً } [النساء:٣٦] سبق الكلام عليها .

الثانية عشرة : التنبيه على وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته .
والرسول صلى الله عليه وسلم عند موته لم يوص بشيء مكتوب وإنما أوصى بما في كتاب الله جل وعلا و سنته صلى الله عليه وسلم ، يعني هذا فيه تأمُل أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يترك عند موته شيئًا مكتوبًا بل كان من آخر ما قال : {الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم ونحو ذلك} ، لكن مما قاله قبل ذلك: « **تركت فيكم من ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدًا كتاب الله وسُنَّتي** » ([1])

الثالثة عشرة : معرفة حق الله علينا.

وهي وإفراده بالعبادة سبحانه وتعالى . **الرابعة عشرة : معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه .**

وهو أن لا يعذبهم .

الخامسة عشرة : أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة .

---

[1]) رواه الحاكم في مستدركه برقم (٣١٨ ، ٣١٩) .

وهي : أن من فعل ذلك دخل الجنة أو غُفر له ،وقد خاف النبي صلى الله عليه وسلم أن يتَّكلوا فأمر معاذا أن يكتمها عنهم ولما كان عند موته أخبر بها خوفًا من الإثم .

السادسة عشرة : جواز كتمان العلم للمصلحة .

فمن الممكن أن تخفي بعض العلم عن بعض الناس شفقة عليهم أو حرصا عليهم أو مخافة أن يقعوا في شيء خطير ، والبخاري بوب على هذا باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصرفهم بعض الناس عنه ، فقد تترك شيئا أنت لست ملزما أن توصله إليه كما قال عليه الصلاة والسلام لعائشة([1]) : « **لَوْلاَ أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ، فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ، بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ**» **السابعة عشرة : استحباب بشارة المسلم بما يسره .**

لأن معاذا كان يريد أن يخبر بها الصحابة قال : أفلا أبشر الناس ؟ وفي هذا استحباب بشارة المسلم بما يسره ، وهذه سنة تكاد تكون سنة متروكة عند الناس الان.

الثامنة عشرة : الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله .

لقوله : « **لا تبشرهم فيتكلوا** » .

التاسعة عشرة : قول المسئول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم .

فهذا كان في حياته صلى الله عليه وسلم ، ولكن هل يصح الآن أن نقول بعد موته صلى الله عليه وسلم عما لا نعلمه : الله ورسوله أعلم ؟ الجواب :لا يقال هذا ، إذا كنت لا تدري فقل: الله أعلم ، أو قل : لا أدري ، لكن لا يصح بعد موته صلى الله عليه وسلم أن تقول الله ورسوله أعلم .

العشرون : جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

وهذه ذكرناها فيما سبق .

الحادية والعشرون : تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

---

[1]) رواه البخاري برقم (١٥٨٦) باب فضل مكة وبنيانها

وهنا فائدتان : الأولى : أنه صلى الله عليه وسلم ركب الحمار؛ وعادة الناس الكبار العظماء أنهم لا يركبون الحمير ،ويعدون ركوبه منقصة .

الثانية : أنه كان يركب و يردف خلفه وأحيانًا يردف خلفه ويأخذ أمامه كما دخل المدينة ومعه الفضل وقُثَم ، أحدهما أمامه والأخر خلفه، وهذا من تواضعه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

الثانية والعشرون : جواز الإرداف على الدابة.

إن كانت تطيق ذلك ولم يكن فيه مشقة عليها والا لم يجز الارداف لأن ذلك يكون حينئذ تعذيبا للحيوان وهذا منهي عنه شرعا . وأتى بها هنا حتى لا يقول قائلٌ فيه تعذيب للحيوان .

الثالثة والعشرون : فضيلة معاذ بن جبل رضي الله عنه .

لأن الرسول صلى الله عليه وسلم أردفه خلفه ثم خَصَّهُ بهذا العلم العظيم ، ومن فضائل معاذ بن جبل أنه يأتي يوم القيامة أمام العلماء برتوة حجر ([1]) أي برمية حجر أو بميل أو بخطوة على تفاسير مختلفة ،و معاذ بن جبل توفي في طاعون عمواس وكان أعلم الناس بالحلال والحرام رضي الله عنه.

الرابعة والعشرون : عظم شأن هذه المسألة .

وهي بيان حق الله جل وعلا على العباد وأن من أتى بهذا الحق فإنَّ الله جل وعلا لا يعذبه سبحانه وتعالى .

---

[1]) رواه الطبراني في المعجم الصغير برقم (٥٥٦) وفي الكبير برقم (٤٠)